دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	قراءة في كتاب الصحة النفسية منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة
المصدر:	مجلة العلوم التربوية والنفسية
الناشر:	جامعة البحرين - مركز النشر العلمي
المؤلف الرئيسي:	حجازي، مصطفى
مؤلفين آخرين:	أوزى، أحمد عبدالرحمن(عارض)
المجلد/العدد:	مج 2 , ع 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2001
الشهر:	مارس
الصفحات:	251 - 262
رقم MD:	1309
نوع المحتوى:	عروض كتب
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	التحليل السوسيولوجي ، عرض وتحليل الكتب ، الصحة النفسية ، علم النفس الاكلينيكي ، علم النفس التربوي ، السلوك ، النمو، التحليل النفسي ، الاسرة والمدرسة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1309

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

قراءة في كتاب

الصحة النفسية
منظور دينامي تكاملي للنمو
في البيت والمدرسة
للدكتور مصطفى حجازي

إعداد

أ.د. أحمد أوزي

قراءة في كتاب: الصحة النفسية
منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة

للدكتور مصطفى حجازي

إعداد أ.د. أحمـــــد أوزي
كلية التربية – جامعة البحرين

تقديم

صدر مؤخراً عن المركز الثقافي العربي كتاب جديد للدكتور مصطفى حجازي أستاذ علم النفس بجامعة البحرين، يحمل عنوان "الصحة النفسية: منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة". ويأتي هذا الكتاب تتويجاً لمؤلفاته العديدة والتي نذكر منها ما يلي:

- الأحداث الجانحون (١٩٧٥)، طبعة ثالثة بعنوان تأهيل الطفولة غير المتكيفة (١٩٩٥).
- الفحص النفساني (١٩٩٣) طبعة ثالثة.
- التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور) ٨ طبعات آخرها عام (٢٠٠١).
- الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارة. طبعة ثانية (١٩٩٠).
- معجم مصطلحات التحليل النفسي. ترجمة عن لابلاش، طبعة ثالثة (١٩٩٧).
- ثقافة الطفل العربي (١٩٨٩).
- حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوات الأصولية، (١٩٩٨).
- تقويم تدريب المعلمين، (١٩٩٦)، وزارة التربية والتعليم. دولة البحرين.

إن الذي يتأمل عناوين المؤلفات السابقة وموضوعاتها يجد أن هناك خيطاً رابطاً بينها وبين المؤلف الجديد، جعل المؤلف يتوخى تحقيق أهداف محددة من كتاباته. فمن تناوله لظاهرة الانحراف كظاهرة تنخر جسم المجتمع وتهدر طاقاته البشرية الثمينة إلى تشخيص أسبابها ثم تحليل الوضعية الاجتماعية المختلفة للإنسان العربي وما تنتجه من سيكولوجية تتسم بالقهر والإحباط، مما يكبل نهضة المجتمع وتطوره، إلى تحليل الدور الذي يلعبه

الاتصال في الإدارة التي تلعب دوراً أساسياً في التنمية وإبراز قيمة التدريب الناجح للكادر التربوي، ومروراً بضرورة تدقيق المفاهيم العلمية توخياً للوضوح والدقة التي تتطلبها المعرفة السيكولوجية في التواصل العلمي، إلى وصف وتحليل أهمية الثقافة في صنع شخصية الإنسان العربي، بدءاً بطفولته التي تتكون فيها ركائز شخصيته، ثم القيام بوقفة تأملية لمراجعة طبيعة الثقافة العربية في عالم اليوم وانحصارها بين القنوات الفضائية والدعوات الأصولية والتساؤل عن الدور الذي يمكن أن تلعبه ثقافة كهذه في أفق الألفية الثالثة، إلى صدور الكتاب الأخير وليس الآخر والذي يحلل فيه الدكتور مصطفى حجازي ويستقصي بشكل دقيق مواطن الخلل في عملية التنشئة الاجتماعية، ذلك الخلل الذي قد يؤدي بالشخص إلى الابتعاد عن تحقيق الصحة النفسية المنشودة والوصول إلى الاقتدار، والفعالية، والإنتاج، الذي يتطلبه عالم اليوم من الفرد، لفرض مكانته وإبراز قدراته في المجتمع وللصمود ومواجهة الضغوطات والتحديات اليومية الكثيرة.

وكتاب "الصحة النفسية"، يتكون من ٣٣٦ صفحة من حجم ٢٤x٢٧ . تتمفصل أجزاؤه إلى مقدمة وتسعة فصول ومراجع؛ تغطي بالترتيب الموضوعات التالية:

نقرأ في الباب الأول المعنون "الأطر العامة للصحة النفسية: نظرة شمولية تحليلية نقدية" الموضوعات التالية، حسب عناوين فصولها:

١- نظرية الصحة النفسية (النشأة، المقومات والأبعاد، والقضايا).
٢- السواء واللا سواء: القضايا والتشخيص.
٣- الصحة النفسية: ما بين البيولوجيا والسوسيولوجيا.

أما الباب الثاني فيتناول موضوع الصحة النفسية والأسرة، وبدوره يحتوي على عدة فصول، خصصت للموضوعات التالية:

١- الرباط الزوجي ومقوماته.
٢- تصدع الروابط الزوجية: أنواعها وآثارها على الأولاد.
٣- علاقات الوالدية – البنوية: الوظائف والإشكالات.

في حين خصص الباب الثالث للصحة النفسية والمدرسية، عالج فيه المؤلف عدة محاور تتعلق ببينات النظام المدرسي والحاجات النفسية للفئات الخاصة. ويختم المؤلف كتابه بتخصيص الفصل الأخير منه للقيام بإطلالة مستقبلية على موضوع الصحة النفسية في علاقتها بالعولمة.

ونعرض فيما يلي نبذه مختصرة عن محتويات الكتاب: يستهل الدكتور حجازي مقدمة مؤلفة بالتساؤل عن دواعي تأليفه لكتاب جديد في مجال الصحة النفسية، خاصة وأن المكتبة العربية تعرف العديد من الكتب في هذا المجال. غير أن العنوان الفرعي للكتاب يعفيه في الواقع من الإجابة عن هذا التساؤل، ذلك أننا لا نجد مؤلفات عربية تتناول موضوع الصحة النفسية من منظور متكاملي وشمولي وربط ظواهر الصحة النفسية بأسبابها الرئيسة ومعالجة موضوعاتها في سياقها الدينامي الأسري والمدرسي بأسلوب علمي دقيق وواضح ومشوق، يفيد القارىء العادي ويعمق معارف الباحث المتخصص ويستفز فضوله العلمي ويدفعه إلى المزيد من البحث والاستقصاء.

إن المتصفح للعديد من الكتب التي تتناول الصحة النفسية يجد معظمها تخلط بين العديد من المفاهيم الأساسية التي كان من المفروض أن تكون واضحة حتى تحدد ميدان هذا التخصص العلمي بما يفيد عدم الخلط بينه وبين المجالات القريبة منه والمتكاملة معه. ومن أج لهذه الغاية نجد المؤلف يعرض بطريقة بيداغراجية فعالة مفاهيم مركزية يُعد إدراكها وفهمها أساسيا في التعامل مع هذا التخصص، مبرزا مدلول الصحة النفسية التي تهتم والاضطرابات النفسية والتكيفية للأشخاص الأسوياء، تمييزاً لهذا المجال من الطب العقلي الذي يهتم بالذهان والعصاب. والباحث لا يتناول موضوع الصحة النفسية بشكل نظري مجرداً عن الواقع الإنساني في ظل الغيرات العالمية الراهنة. مما يعطي الكتاب قيمة وأهمية راهنة، تجعله أداة علمية معرفية هامة وسنداً توعوياً علاجياً في الوقت ذاته.

إن الإنسان الذي يعيش في العالم المعاصر يواجه العديد من التحديات التي يحتاج معها إلى مضاعفة تعزيز قواه النفسية لتحير طاقاته استغلالها على أفضل وجه "لقد أدى تعاظم التحديات الحياتية المعاصرة، و تعقد الحياة المدنية بشكل غير مسبوق، وتصاعد المتطلبات والضغوطات التي تفرضها على الناس، إلى جعل مسألة التكيف والقدرة على إدارة دفة الحياة...تتطلب توظيفاً للقدرات والفرص غير مسبوقين.." ص١٢. إن مجرد البحث فيما يعزز الطاقة للفرد في عالمنا المعاصر وهو يواجه السيل العارم من المشكلات ذات الطبيعة

المهنية والأسرية يُعد في حد ذاته من أولويات التأليف والبحث وبخاصة إذا كان من صنف الباحثين المتمرسين بميدان السلوك والظواهر النفسية في السواء واللاسواء. ومن ثمة فإن كتاب الدكتور مصطفى حجازي صدر في وقت تشتد فيه الحاجة إلى مؤلفات من هذا الصنف لتفيد القراء المهوسين بقضايا التربوي والتعليم بشك لعام ولتخصب أبحاث واهتمامات المتخصصين منهم، ولتشكل أيضاً عوناً وسنداً نفسياً لعموم القراء الذين يجدون في خطاب الكتاب ما يؤازرهم ويشد عضدهم وهم يواجهون ضغوطات الحياة المتكالبة على إنسان الألفية الثالثة. ولأهمية الكتاب فإننا سنجازف بتقديم خلاصة لأهم قضاياه معترفين منذ البداية بأن كتاباً كهذا، لمؤلف في المستوى العلمي لصاحبه يصعب اختزال أفكاره ومعانيه الهامة والمبثوثة عير سطوره وليس فقط بين تضاعيف أبوابه وفصوله العديدة، فالكتاب الذي يقدمه لنا الدكتور حجازي من الكتب التي لا غنى للقارىء من تحقيق التواصل المباشر معها، لملامسة أفكار واشرافات صاحبها بطريقة تعاطفية (sympathie) بالمعنى البرجسوني للكلمة، أي بكيفية مباشرة، تزول فيها كل الحواجز التي قد يتسبب فيها الاختزال والتلخيص أو النقل أو الترجمة في اكتشاف الجديد والأصيل فيها.

الباب الأول :

يعالج الفصل الأول من الباب الأول للكتاب والمعنون "**تظريات الصحة النفسية : المقومات والأبعاد والقضايا**" العديد من المفاهيم التي تعد مفاتيح الفهم العلمي الدقيق والسليم لمدلول الصحة النفسية ولأبعادها ولقضاياها ولإشكالياتها الأساسية. فالمؤلف يستهل هذا الفصل بمقدمة تاريخية تضع على الصحة النفسية في إطاره التاريخي ثم يتطرق بعد ذلك إلى مختلف تعاريف الصحة النفسية المتداولة في هذا العالم، أو تلك التي تقترحها الجمعيات والمنظمات العالمية المهتمة بالموضوع، وكذلك نوع الإشكاليات التي تطرحها مختلف التعاريف المقترحة وطبيعة الزوايا التي ينظر كل منها إلى الموضوع. ويبرز هذا الفصل بوجه خاص تعدد النظريات في مجال الصحة النفسية وارتباط كل واحدة منها بأعراض معينة وإغفالها "**الطابع الكلي للإنسان المنغرس في الوجود الذي هو في حالة صيرورة**" ص ٣٢. لذلك فإن المؤلف يشدد في نهاية عرضه لمختلف الآراء والتعارف ووجهات النظر على ضرورة دراسة الصحة النفسية بشكل كامل، أي على الصعيد الفردي والجماعي لما يوجد من تلاحم بينهما وتبادل التأثير والفعل ورد الفعل" **وهكذا يتضح أن الصحة النفسية هي حالة بنيوية وظيفية، نمائية، جدلية كيانية. وتتوقف نوعية الصحة ومستواها وغناها على هذا**

التكامل الفاعل. ذلك ما نرى أنه يشكل "توعية الحياة" كتعريف للصحة النفسية، وليس مجرد تعداد سردي للخصائص والمقومات ..." ص٥٨.

أما الفصل الثاني المعنون "السواء واللاسواء: قضاياهما وتشخيصهما فهو يركز على تحليل مفهوم السواء واللاسواء في اللغتين العربية والإنجليزية مبيناً التلاقي والاختلاف بينهما، ثم ينتقل بالقارىء إلى عرض منظور الصحة العقلية للسواء واللاسواء، ثم المنظور النمائي المثالي، مروراً بكل من المنظور الإحصائي والمنظور الثقافي ، مبرزاً ف يالوقت ذاته ما يطرحة كل منظور على حدة من إشكالات بالنسبة للدارس الذي قد لا يجد إجابات شافية ومقنعة في الموضوع بقدر ما يستنتج من قراءته أن الصحة النفسية كغيرها من الظاهر النفسية التي يهتم بها علم النفس تتميز بالخصوبة والتعقيد الذي تتهافت معه كل مقاربة واحدية الاتجاه لموضوعها المعقد.

ويخلص المؤلف في نهاية هذا الفصل الزاخر بالمعلومات المفيدة والقيمة في مجال الصحة النفسية إلى تقديم رؤيته للموضوع، كما عودنا على ذلك، مما يجعله ليس مجرد سارد أو عاكس للنظريات في الموضوع، وإنما هو باحث أصيل، له وجهة نظره في الموضوع، يتبناها خلال التعامل اليومي مع ظواهر الصحة النفسية في مجالات الإدارة والمجتمع والمؤسسات التعليمية. إن مسألة السواء واللاسواء ترتبط في نظر المؤلف بمستوى التحدي الذي يطرحة كل مجتمع وتوع الثقافة المهيمنة فيه. ذلك أن كل مجتمع إلا وله سياسته وإيديولوجيته وثقافته ومعاييره التي تطرح نمطاً معيناً للصحة النفسية تجعله أنموذجياً لقياس السواء واللاسواء. وهذا المعيار يظل بدوره معياراً نسبياً قابلاً للتجديد والتغيير، تبعاً لقانون الصيرورة الجدلية الذي يطبع كل شيء في الكون.

أما الفصل الثالث والأخير من الباب الأول فإن المؤلف عنونه بالصحة النفسية بين البيولوجيا والسوسيولوجيا، يستهله بموضعه الصحة النفسية، كغيرها من الوقائع التي يهتم علم النفس بها. فالصحة النفسية هي محصلة كل ما هو بيولوجي وسوسيولوجي؛ وذلك لما بين الجانبين معاً من تفاعل مستمر وبالغ التعقيد: "**والفصل بين العقلي والجسدي – العصبي هو إلى حد بعيد فصل زائف. حتى أكثر حالات النفس البشرية نبلاً وسموا مشروطة بمرتكزاتها البيولوجية المتعلقة بكيمياء الدماغ أو بالرصيد الوراثي ونوعيته**" ص ٨٥

وبهذا الطرح لموضوع الصحة النفسية فإن المؤلف يجنبنا الدخول في متاهات الدهاليز المظلمة التي تردت فيها العديد من النظريات الكلاسيكية التي كانت تعالج سلوك الإنسان من منظور الوراثة والبيئة ويقدم لنا منظوراً متقدماً للمسألة، منظوراً يربط الصحة النفسية في تعقدها وخصوبة معالجتها بالواقع المعيش للإنسان، مثلها في ذلك مثل ظواهر النمو النفسي التي لا تحدث في المختبر، وإنما تخضع قبل كل شيء لمواقف "**الحياة العادية على اختلاف دوائرها بدءاً بالأسرة والحي والرفاق والمؤسسات، وانتهاء بالأطر الاجتماعية الثقافية العامة.**" ص٨٥ . ولأهمية الرصيد الحيوي البيولوجي والجانب السوسيولوجي في مسألة الصحة النفسية فإن المؤلف خصمها بتحليل دقيق على امتداد الفصل كله، منتهياً إلى الإقرار بتبنيه منظور استبعاد الاختلافات البنيوية والوظيفية والنمائية والجدلية التي تشكل حالة خاصة بكل شخص على حدة، تبعاً لنوع القوى الكامنة لديه والفاعلة ومقدار تفاعلها بمجاله الاجتماعي، مما ينبغي معه الحرص على عدم اختزال تشخيص الصحة النفسية في عامل أو آخر، وإنما كما جاء على لسان المؤلف نفسه "**إبقاء الرؤية مفتوحة الأفق، متحررة من أسر النظريات الجزئية التي رغم تماسك رؤيتها قد تهمل عناصر حاسمة في تحديد الحالة**" . ص١١٣

الباب الثاني :

يتناول الباب الثاني من الكتاب المعنون، الصحة النفسية والأسرة، مكانة الأسرة ودورها في المجتمع، بوصفها الخلية الاجتماعية الأولى التي يترعرع فيها الكائن الإنساني وينشأ، مكتسباً الخبرات الأولى التي تحدد إلى أبعد مدى، رصيده في الصحة النفسية. ولأهمية أدوار الأسرة وحيويتها فإن المؤلف خصص لها عدة نقاط عالجها بكثير من التحليل والدقة التي تبرز مكانة كل عامل من العوامل المتفاعلة في بنيتها وجدليتها وعلاقاتها الدينامية التي تتفاعل فيما بينها وتؤدي في النهاية إلى رسم لوحة فريدة لا تتكرر ألوانها وخطوطها. وقد أطلق المؤلف على هذه الأسس أو الألوان الأساسية التي تؤثر في شخصية كل فرد وتحدد معالم صحته أو علته النفسية، المربع البنيوي المكون من أربعة أركان، هي:

١- العلاقات الزوجية.
٢- العلاقات مع المحيط.
٣- العلاقات الوالدية.
٤- العلاقات بالأخوة.

إن هذه الأركان الأربعة هي التي تحدد مقدار الصحة أو المرض النفسي للفرد، خلال الحتكاكه وتفاعله مع بنياتها وصيروريتها، دون إغفال الدور الحاسم الذي تلعبه أحوال المجتمع الثقافية والاقتصادية والسياسية في مسار العلاقات الأسرية عامة وعلى العلاقات الزوجية خاصة.

هذا وقد ركز المؤلف بوجه خاص في هذا الباب على الرابطة الزوجية وما تفرزه علاقات ذات تأثير على الصحة النفسية، ليس على الزوجين فحسب وإنما تتعدى ذلك إلى أفراد العائلة وإلى الأبناء بشك لخاص. كما يتناول المؤلف دور الأبناء في تعزيز الرباط الزوجي، لما يحققونه من حاجات نفسية واجتماعية بشكل يساهم في الصحة النفسية للأبوين أو ما قد يسبونه من تعثر في العلاقات الزوجية في حالة ولادتهم بإعاقة بالغة.

إن الدكتور حجازي خلال تحليله ومعالجته لموضوعات هذا الباب لم يغفل العديد من العوامل التي تساهم من بعيد أو قريب في تكافؤ العلاقة الزوجية، كعامل الثقافة والنضج العاطفي والمكانة الاجتماعية والتوقعات والأدوار والإيهامات التي يكونها كل زوج عن الآخر عن مفهومه للزواج ودوره فيه، مما يلقي بدون شك ، بضلالة على العلاقة الزوجية ويسوقها إلى بر الأمان أو إلى التصدع والانهيار. وهو في تحليله ووصفه هذا، يظهر خبيراً نفسياً واجتماعياً دقيقاً يتفاعل مع موضوعة ويرسم بريشته البارعة، الحالات المتعددة، المعيشة في المجتمع.

الباب الثالث:

تناول المؤلف في الباب الثالث من الكتاب المعنون بالصحة النفسية والمدرسة العديد من المواقف والأدوار التي تلعبها المؤسسة المدرسية في حياة طلابها، مخصصاً حيزاً هاماً في هذا الموضع لتحليل العلاقات المدرسية. والواقع أ، القراءة المتأنية لهذا الباب من الكتاب بفصوله العديدة الغنية بالمعلومات والأفكار تجعل القارىء بعد هذه القراءة ينظر نظرة جديدة إلى طبيعة العلاقات في القضاء المدرسي ويحسب لها حسابها، لشدة تأثيرها على الصحة النفسية للمتعلم وعلى مردوده الدراسي، بكيفية إيجابية أو سلبية.

هذا، وقد استهل الدكتور حجازي هذا الباب بالقول إنه "**إذا كانت الأسرة توفر مرتكزات الصحة النفسية أو المرض، فإن المدرسة هي المؤسسة التي تشكل منحى وتوجه هذه المرتكزات فتعطيها الدفع اللازم كي تجسد في الواقع والممارسة....**" ص ٢١٩

كما يخصص المؤلف في هذا الباب حيزاً هاماً لتحليل وضعية التحاق الطفل بالمدرسة مبيناً دلالة ذلك وأبعاده النفسية والاجتماعية على شخصيته ونموه، إذ يُعَد هذا الحدث بمثابة عملية فطام نفسي للطفل ونقطة انطلاق فعلي لبناء المشروع المعرفي. ويحذر المؤلف من الأساليب والاتجاهات التقليدية التي كانت المدرسة تتبناها، تلك الاتجاهات التي كانت تُعد نفسها غير معنية سوى بالتعلم دون ما سواه، فتقوم باختزال المتعلم وتحويله إلى بعد معرفي فقط، وهو هنا أشبه ما يكون بآلة لطحن المعلومات واجتياز الامتحانات، مما يقضي على جوانب أخرى هامة من شخصيته. فالنمو – كما يقول المؤلف "**مشروع متكامل لا يمكن الاهتمام بجزء منه دون آخر..**" ص ٢٣٥

ويخصص المؤلف حيزاً هاماً من هذا الباب لتحليل ديناميات العلاقات المدرسية، تلك العلاقات التي تتم بين المدرس والتلميذ أو بين التلميذ وزملائه أو بين التلاميذ والأطر الإدارية للمدرسة. ففي معرض تناوله لهذه العلاقات وانعكاسها على التحصيل الدراسي للتلاميذ وعلى نضج شخصيتهم وتفتحها أو العكس يقدم الدكتور حجازي تحليلاً دقيقاً يشخص فيه جنوح رؤية كل من المدرس والتلميذ في إدراكه للآخر، مما يساهم في تعقد علاقة التعاقد التي تربطها خلال العملية التعليمية – التعلمية، والتي تفترض في نجاحها حداً أدنى من التواصل النفسي. ولعلنا نذكر في التراث التربوي العربي الفقيه الذي أعاد طفلاً إلى والده قائلاً له إنني لا أستطيع أن أعلمه لأنه لا يحبني. وهكذا أبرز المؤلف وجود خلفية نفسية نشطة لا واعية لدى المدرس تنشط اتجاهاته نحو التلاميذ بحيث "**ينفتح عفوياً لتلميذ ما، بينما ينصرف عن آخر. يتواصل مع الأول بينما يتجاهل الثاني. أو يكون تلميذ ما محط اعتزازه وتقديره حتى يصرف النظر عن قضية الاجتهاد. وقد يلعب دوراً أبوياً عطوفاً تجاه تلميذ آخر فيعطف عليه وتتسم علاقته معه بالرعاية ... المهم أن كل تلميذ قد يكتسب لدى المعلم دلالة وجدانية عفوية، ويعطي مكانة ما انطلاقاً من نوع ومنحى هذه الدلالة. كما تقوم بينهما عملية تفاعل لا واع يتم بصمت في الكثير من الأحيان، ولا يظهر منه إلا نتائجه ف يالإيجاب كما في السلب .. وبالطبع فإن التلميذ هو الطرف الأكثر تأثراً. فهو موضع الحكم وإسباغ المكانة تبعاً للدلالة التي اتخذها في لا واعي المعلم، وتبعاً لما حرك لديه من ملفات نفسية تاريخية**" ص ٢٢٨.

إن هذا التحليل الذي يقدمه المؤلف للعوامل المشوشة للعلاقات التفاعلية في الوسط المدرسي لهي نبراس يضيء فضاء العملية التعليمية – التعلمية ويجعل المدرس على وعي بآلياتها وميكانيزماتها حتى يكون على دراية تامة بها ومستبصراً أبعادها ويتحرر من آثارها السلبية ويحاول قدر المستطاع التحلي بالنظرة الموضوعية في التعامل.

كما نجد الكتاب يخصص لعلاقة الأهل وعلاقة المدرسة بالأهل حيزاً لما لهذه العلاقة من تأثير في تكيف التلميذ وانضباطه المدرسي. فقد أبرز المؤلف في معرض تحليله لهذا الموضوع أن علاقة الأهل بالمدرسة لا تنشط عادة وفي كثير من الأحيان "**إلا حين يصادف الطفل صعوبات تحصيليه، أو يقع في مشكلات سلوكية تجعله يصطدم بالنظام المدرسي العام...**" ص ٢٣٢

الواقع أن التكيف الدراسي للتلميذ يقتضي تحركه في فضاء يسوده مناخ الصفاء والتعاون بين الأهل والمدرسة "فلقد أصبح معروفاً أن اهتمام الأهل بتهيئة أطفالهم للدراسة ومتابعتهم، والتنسيق مع المدرسة هو أكبر عوامل النجاح التحصيلي ..." ص ٢٣٢. على أن المؤلف لا ينهي حديثه في هذا الفصل من الكتاب دون أن يعرج على إثارة مشكل أساسي يتعلق بتهافت المعادلة التي تربط بين نجومية الدرجات المدرسية ونجومية النجاح في الحياة، مستشهداً بالعديد من الدراسات العلمية الحديثة التي تدعو إلى انتهاج أسلوب جديد في النظر إلى المتعلم والعمل على تحرير طاقاته المختلفة وتنميتها لتحقيق الفعالية المطلوبة منه في عصر السوق العالمية التي يحكمها سيادة البقاء للأجود والأفضل.

ويختم المؤلف كتابه بالفصل التاسع، حيث يقوم بإطلالة مستقبلية على العولمة والصحة النفسية. والواقع أن هذا الفصل الأخير يشكل موضوعاً جديداً لم تتطرق إليه بعد الأبحاث النفسية في مجال الصحة النفسية. وقد استطاع الباحث بنظرته الاستشراقية في مجال الدراسات المستقبلية أن يقدم للقارىء تحليلاً دقيقاً لما يمكن أن تكون عليه الوضعية النفسية الصحية في عصر العولمة. فلقد عالج المؤلف القضايا التي يطرحها العالم الجديد، كعلاقة العلم بسوق العمل ومميزات عالم الدراسة والثقافة والإعلام والمعلومات والوجه المظلم للعولمة .. إلخ في مجتمع الدولة المحدود، إلى العيش في المجتمع الدولي المنفتح على العالم كله، وما يتطلبه ذلك من توسيع أكبر لأفق الإنسان وتطوير قدراته ومهاراته، وبخاصة في عالم يحكمه التغير والتطور السريع "لأول مرة يجد المرء ذاته لا يستطيع معها ضمان فاعلية مخططاته المستقبلية وأهدافه الوجودية .." ص ٣٠١. ويشير المؤلف في هذا الصدد إلى

الدور الذي يمكن أن تلعبه التربية المستديمة المتجددة والمتطورة في هذه النقلة النوعية، حيث يرى أن "التعليم سيصبح دائماً وسيأخذ وقتاً متزايداً من ساعات العمل لمواكبة المستجدات المتكاثرة وما تحمله من تحولات ..." ص ٣٠٢. إن على التربية والتعليم أ، تضطلع بتنشيط كل فاعليات الإنسان وقدراته من أجل استيعاب التغير ولعب دور المواطن العالمي. بيد أن هذا الأمر لا يخلو من صعوبات تجعل الإنسان يستبدل هويته الثقافية الوطنية بهوية كونية وعالمية وما يستتبع ذلك من معاناة نفسية.

والخلاصة أن هذا الفصل الأخير من الكتاب جد مشوق بدوره، فهو ينقل القارىء من المعيش والمألوف، إلى الجديد، وإلى القادم القريب إلينا؛ هذا الذي قد لا يستأذن في اقتحام بيوتنا وتغيير العديد من قيمنا وعاداتنا وسلوكنا، ليصبح سلوك وأخلاق الإنسان الكوني الذي طالما داعب أحلام بعض الفلاسفة. وقد يشعر القارىء وهو في نهاية الكتاب أنه بحاجة شديدة إلى المتابعة والقراءة في فصول هذا الوضع الإنساني الجديد، إنسان عصر العولمة وما ستصبح عليه صحته النفسية. ولقد وظف المؤلف مفهوماً جديداً للصحة النفسية في هذا الفصل الأخير، وهو مفهوم "الصحة النفسية المجتمعية"، وهو موضوع جديد لم تعالجه كتب الصحة النفسية من قبل ويفتح مجالاً وآفاقاً علمية جديدة. نسأل الله تعالى أن يمتع زميلنا الدكتور مصطفى حجازي بالصحة والعافية حتى يؤدي أمانة المتابعة العلمية البحثية في هذا المجال العلمي الشائق ويفيد القراء والطلاب الباحثين الذين ينتظرون منه بشوق كبير المزيد من أعماله العلمية الرصينة.

مكانة الكتاب وقيمته العلمية:

أ- كتاب الصحة النفسية للدكتور حجازي يتسم بمعالجة جديدة للموضوع، معالجة تبعدنا عن الكتب التقليدية في هذا المجال. فالكتاب يتناول قضايا الصحة النفسية في منابعها وجذورها الأولى ويصف كيف تترسب مختلف التفاعلات والظاهر النفسية وترسم بظلالها النماذج السلوكية المتسمة بالصحة أو المرض.

ب- إن هذا الكتاب لا يعالج موضوع الصحة النفسية كظاهرة مجردة عن إنسان في زمام ومكان معين. فهو كتاب يستحضر باستمرار في وصفه وتحليله

مناخ العصر وقيمه ومبادئه ومشكلاته الراهنة وما تتركه من بصمات على أصحابها، الشيء الذي يعطي الكتاب مكانة وقيمة علمية خاصة.

ج_ إن الأسلوب الذي يعالج به الكتاب قضاياه وموصوعاته يُعد أسلوباً خاصاً ومتميزاً - في نظري – فهو أسلوب أقرب ما يكون إلى النحت أو الرسم بالكلمات – إن صح التعبير – فهو خلال وصفه يجسد الأحداث ويشخص الوقائع بشكل يجعل القارىء المتتبع يستحضر حالات ومشاهد أمامه في الموضوع (أنظر على سبيل المثال الباب المخصص للصحة النفسية والأسرة والباب المخصص للصحة النفسية والمدرسة).

د- إن الملاحظة الأساسية التي أسجلها على الكتاب أن عنوانه يبعده – في نظري– عن تعميم انتشاره بين القراء على اختلاف تخصصاتهم، والحال أن أهمية ما يتطرق إليه ويعالجه يجعله – في نظري – كتاباً أشبه ما يكون بالمتطلب السابق في المعرفة والتكوين، يحتاج إليه كل شخص مرشح للعيش في الحياة الاجتماعية المعاصرة بما تعج به من ضغوط ومشكلات، فتكون له هذه القراءة زاداً أو نبراساً يساعده على التغلب على العديد من المشكلات وتكسبه آليات السلوك الذي يقيه قدر المستطاع الوقوع في براثن المرض النفسي عن طريق، التبصر والوعي المناقضين للجهل والضلال.

على أنه يمكن التأكيد في نهاية هذه القراءة بأن الدكتور مصطفى حجازي عودنا نهجاً حميداً في كتاباته العلمية القيمة، مما جعلها تشكل معيناً لا غنى عنه للقارىء العربي على اختلاف مداركه وتخصصاته بشكل عام والقارىء المتخصص بشكل خاص، ولا أدل على ذلك من أن بعض مؤلفاته طبعت عشر مرات، لأهميتها العلمية وأسلوبها الواضح والدقيق. ولا أبالغ إذا قلت: إن كتاباته وأبحاثه تشكل مدرسة قائمة بذاتها في مجال الدراسات النفسية – الاجتماعية؛ فلا أعرف باحثاً مختصاً في هذا المجال لم ينهل من معارفه ومن كتبه. ويكفيه فخراً المعمار العلمي الرفيع الذي تفرغ لتشييده (معجم التحليل النفسي) وطلقات الرصاص يسمع دويها خلال الصرع الدامي في لبنان، وكأنه بعمله ذاك يريد أن يقول للمتنازعين : هذا هو الطريق السديد لبناء نهضة مجتمعية وليس ما تقومون به. وهو ها يذكر بالفيلسوف الألماني هيجل الذي كان يؤلف كتابه "فينومينولوجيا" الروح" ومدافع نابليون تدك حصون ألمانيا، ولم يبال بالأمر واستمر في كتابة دون توقف وهو يسخر من نابليون الذي ليس في

نظره سوى أداة في يد التاريخ لبلوغ فكرة المطلق. كما أن كتاب "التخلف الاجتماعي (سيكولوجيا الإنسان المقهور) أحدث بدوره رجة في صفوف عقول المثقفين العربي وبخاصة الباحثون في مجال الدراسات النفسية – الاجتماعية، فلا يخلو وجوده ضمن قائمة المراجع الأساسية لطلاب الدراسات العليا في معظم الجامعات العربية.